بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١١ رجب ١٤٤١

عبادَ الله: لقد أرستْ سورةُ الحجراتِ مجموعةً مِنَ القيمِ والأخلاقِ التي لا يستغني عنها كلُّ مسلم، وهي سورةٌ مدنيةٌ، أي: نزلتْ في العهدِ المدني، قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره»: سُورَةُ الْحُجُرَاتِ مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ. وَهِيَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ آيَةً، والمرادُ بالحجراتِ حجراتُ نساءِ النبيِّ ﷺ.

إنَّ هذه السورةَ الكريمةَ اشتملت على الأدبِ مع الله عز وجل، ومع رسولِه ﷺ، ومع المؤمنين، **قال الله تعالى**: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: هذا متضمنٌ للأدب مع الله تعالى، ومع رسولِ الله ﷺ، والتعظيمِ له، واحترامِه، وإكرامِه، فَأَمَرَ اللهُ عبادَه المؤمنين بما يقتضيه الإيمانُ بالله وبرسوله، مِن امتثالِ أوامرِ الله، واجتنابِ نواهيه، وأنْ يكونوا ماشين خلف أوامرِ الله، مُتبعين لسُنةِ رسولِ اللهِ ﷺ في جميع أمورهم، وألَّا يتقدموا بين يدي اللهِ ورسولِه، ولا يقولوا حتى يقولَ، ولا يأمروا حتى يأمرَ، فإنَّ هذا حقيقةُ الأدبِ الواجبِ مع الله ورسوله، وهو عنوانُ سعادةِ العبدِ وفلاحِه، وبفواتِه تفوتُه السعادةُ الأبديةُ، والنعيمُ السرمديُّ. وفي هذا النهيُ الشديدُ عن تقديمِ قَوْلِ غيرِ الرسولِ ﷺ على قولِه، فإنه متى استبانتْ سُنةُ رسولِ الله ﷺ وَجَبَ اتِّباعُها، وتقديمُها على غيرِها.

وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾** وهذا أدبٌ مع رسولِ الله ﷺ في خِطابه، أي: لا يرفعُ المُخاطِبُ له صوتَه معه فوقَ صوتِه، ولا يجهرُ له بالقول، بل يغضُّ الصوتَ، ويخاطبُه بأدبٍ ولينٍ، وتعظيمٍ وتكريمٍ، وإجلالٍ وإعظامٍ، ولا يكونُ الرسولُ كأحدِهم، بل يُميزوه في خطابِهم، كما تَميَّزَ عنْ غيرِه في وجوبِ حقِّه على الأمة، ووجوبِ الإيمان به، والحبِّ الذي لا يتم الإيمانُ

إلا به، فإنَّ في عدمِ القيام بذلك محذورًا، وخشيةَ أنْ يَحْبطَ عملُ العبدِ وهو لا يشعرُ، كما أنَّ الأدبَ معه مِن أسبابِ حصولِ الثوابِ وقَبولِ الأعمالِ.

ثم مَدَحَ مَن غضَّ صوتَه عند رسولِ اللهِ ﷺ بأنَّ اللهَ امتحنَ قلوبَهم للتقوى، أي: ابتلَاها واختبرَها، فظهرتْ نتيجةُ ذلك، بأنْ صَلُحَتْ قلوبُهم للتقوى، ثم وعدَهم المغفرةَ لذنوبِهم، المتضمنةَ لزوالِ الشرِّ والمكروهِ، والأجرِ العظيمِ، الذي لا يعلمُ وَصْفَهُ إلا الله تعالى، وفي الأجرِ العظيمِ وجودُ المحبوبِ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ اللهَ يمتحنُ القلوبَ بالأمرِ والنهيِ والمحنِ، فمَن لازَمَ أمرَ اللهِ، واتَّبَعَ رضاه، وسارعَ إلى ذلك، وقدَّمَه على هواه تَمحَّضَ وتمحَّصَ للتقوى، وصارَ قلبُه صالحًا لها، ومنْ لمْ يكن كذلك عُلِم أنه لا يَصْلُحُ للتقوى.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾: نزلت هذه الآياتُ الكريمةُ في أناسٍ مِنَ الأعرابِ، الذين وَصَفَهمُ اللهُ تعالى بالجفاءِ، وأنهم أجدرُ أنْ لا يعلموا حدودَ ما أَنزلَ اللهُ على رسولِه، قَدِمُوا وافدين على رسولِ الله ﷺ، فوجدُوه في بيتِه وحجراتِ نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادَوه: يا محمد، يا محمد، أي: اخْرُجْ إلينا، فذمَّهمُ اللهُ بعدمِ العقلِ؛ حيث لم يعقلوا عنِ اللهِ الأدبَ مع رسولِه واحترامَه، كما أنَّ مِنَ العقل وعلامتِه استعمالَ الأدبِ. فأدبُ العبدِ عنوانُ عقلِه، وأنَّ اللهَ مُريدٌ به الخيرَ، ولهذا قال: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾. أي: غفورٌ لِمَا صَدَرَ عَنْ عِبادِه مِنَ الذنوبِ، والإخلالِ بالآدابِ، رحيمٌ بهم؛ حيث لمْ يعاجلْهم بذنوبهم بالعقوباتِ والمَثُلَاتِ. اهـ

أيها المسلمون: ومِنَ آداب المؤمنين تُجاه بعضِهمُ البعض في هذه السورة التثبتُ في خبر الفاسق، **قال الله عز وجل**: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: وهذا أيضًا مِنَ الآدابِ التي على أُولي الألبابِ التأدبُ بها واستعمالُها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسقٌ بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا؛ فإنَّ في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإنَّ خبرَه إذا جُعل بمنزلة خبرِ الصادقِ العدلِ حُكِمَ بموجِب ذلك ومقتضاه، فَحَصُلَ مِن تلفِ النفوس والأموالِ بغير حقٍّ بسبب ذلك الخبرِ ما يكون سببًا للندامة، بلِ الواجبُ عند خبرِ الفاسقِ التثبتُ والتبينُ، فإنْ دلتِ الدلائلُ والقرائنُ على صِدقِه عُمِلَ به وصُدِّقَ، وإنْ دَلَّتْ على كَذِبه كُذِّبَ، ولم يُعملْ به. ففيه دليلٌ على

أنَّ خبرَ الصادقِ مقبولٌ، وخبرَ الكاذبِ مردودٌ، وخبرَ الفاسقِ مُتوقَّفٌ فيه كما ذَكَرْنَا.

عباد الله: ومِنَ الآدابِ التي ذَكرها اللهُ تبارك وتعالى في هذه السورةِ الإصلاحُ بين المسلمين، **كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: وفي هاتين الآيتين مِنَ الفوائدِ: أنَّ الاقتتالَ بين المؤمنين منافٍ للأخوةِ الإيمانيِّةِ؛ ولهذا كان مِن أكبرِ الكبائر. وأنَّ الإيمانَ والأخوةَ الإيمانيةَ لا تزول مع وجود القتال كغيرِه مِنَ الذنوبِ الكبارِ، التي دون الشركِ، وعلى ذلك مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ. وعلى وجوبِ الإصلاحِ بين المؤمنين بالعدل. وعلى وجوبِ قتالِ البغاة، حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو رجعوا لِغيرِ أمرِ الله، بأنْ رجعوا على وجهٍ لا يجوز الإقرارُ عليه والتزامُه، أنه لا يجوز ذلك، وأنَّ أموالَهم معصومةٌ؛ لأنَّ اللهَ أباحَ دماءَهم وقتَ استمرارِهم على بَغيِهم خاصةً دون أموالِهم. اهـ

أيها المسلمون: ومِنَ الآدابِ التي اشتَملتْ عليها هذه السورةُ أنَّ الناس ربما تقعُ بينهم بعضُ القبائحِ، ومنها: السخريةُ والاستهزاءُ والهمزُ واللمزُ والتنابزُ بالألقاب، والظنُّ السيئُ بالمسلمين، والتجسسُ، والغِيبةُ. وقد نهى اللهُ تعالى عنْ كلِّ ذلك في هذه السورةِ، **قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾**.

قال العلامةُ السعديُّ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ حقوقِ المؤمنين، بعضِهم على بعضٍ، أنْ **﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾** بكلِّ كلامٍ، وقولٍ، وفِعلٍ دالٍّ على تحقيرِ الأخِ المسلمِ، فإنَّ ذلك حرامٌ لا يجوز، وهو دالٌّ على إعجابِ الساخرِ بنفسِه، وعسى أنْ يكون المسخورُ به خيرًا مِنَ الساخرِ، كما هو الغالبُ والواقعُ، فإنَّ السخريةَ لا تقع إلا مِن

قلبٍ ممتلئٍ مِن مساوئِ الأخلاقِ، مُتَحَلٍّ بكلِ خُلقٍ ذميمٍ، ولهذا قال النبي ﷺ: «بِحَسْبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يحقرَ أخاه المسلمَ»، ثم قال: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾. أي: لا يَعِبْ بعضُكم على بعضٍ، واللمزُ: بالقولِ، والهمزُ: بالفعلِ، وكلاهما منهيٌّ عنه حرامٌ، مُتوَعَّدٌ عليه بالنار .كما قال تعالى :﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ الآيَةَ، وسُمِّيَ الأخُ المؤمنُ نفسًا لأخيه؛ لأنَّ المؤمنين ينبغي أنْ يكونَ هكذا حالُهم، كالجسدِ الواحدِ، ولأنَّه إذا هَمَزَ غيرَه أَوْجَبَ للغيرِ أنْ يَهمِزَه، فيكونَ هو المتسببُ لذلك.

﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾. أيْ: لا يُعيِّر أحدُكم أخاه، ويلقبُه بلقبِ ذمٍّ يَكره أنْ يُطلَق عليه، وهذا هو التنابزُ، وأما الألقابُ غيرُ المذمومةِ فلا تدخلُ في هذا.

﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾. أي: بئسما تَبدَّلتُم عنِ الإيمانِ والعملِ بشرائعِه، وما تقتضيه، بالإعراضِ عنِ أوامرِه ونواهيه باسمِ الفسوقِ والعصيانِ، الذي هو التنابزُ بالألقاب.

﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. فهذا هو الواجبُ على العبدِ، أنْ يتوب إلى الله تعالى، ويَخرجَ مِن حقِّ أخيه المسلمِ، باستحلاله، والاستغفارِ، والمدحِ له مقابلةً على ذمِّه. فالناس قسمان: ظالمٌ لنفسه غيرُ تائبٍ، وتائبٌ مفلحٌ، ولا ثَمَّ قسمٌ ثالثٌ غيرُهما.

ثم قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾.

قال العلامةُ السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نهى الله تعالى عن كثيرٍ مِنَ الظن السَّوْءِ بالمؤمنين، فـ ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وذلك كالظنِّ الخالي مِنَ الحقيقةِ والقرينةِ، وكظن السَّوءِ الذي يقترن به كثيرٌ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ المحرمةِ، فإنَّ بقاءَ ظنِّ السَّوْءِ بالقلبِ لا يقتصر صاحبُه على مجردِ ذلك، بل لا يزال به حتى يقولَ ما لا ينبغي، ويفعلَ ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا إساءةُ الظنِّ بالمسلم، وبغضُه، وعداوتُه المأمورُ بخلافِ ذلك منه.

﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾. أي: لا تُفتِّشوا عَنْ عوراتِ المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا المسلمَ على حاله، واستعملوا التغافلَ عن أحوالِه، التي إذا فَتَّشْتَ ظهر منها ما لا ينبغي.

﴿**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾. والغِيبةُ كما قال النبي ﷺ: «ذِكْرُكَ أخاك بما يكره ولو كان فيه». ثُمَّ ذكَر مَثلًا مُنفرًّا عَنِ الغِيبة، **فقال:** ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾. شَبَّهَ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتًا، - المكروهَ للنفوسِ غايةَ الكراهةِ - باغتيابِه، فكما أنكم تكرهون أَكْلَ لحمِه، - وخصوصًا إذا كان ميتًا، فاقدَ الرُّوحِ -، فكذلك فلْتكرَهوا غِيبتَه، وأكلَ لحمِه حَيًّا.

﴿**وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾. والتوابُ الذي يَأذنُ بتوبةِ عبدِه، فيُوفِّقُه لها، ثم يتوبُ عليه بقَبولِ توبتِه. رحيمٌ بعبادِه؛ حيثُ دعاهم إلى ما ينفعُهم، وقَبِلَ منهمُ التوبةَ. وفي هذه الآيةِ دليلٌ على التحذيرِ الشديدِ مِنَ الغِيبة، وأنَّ الغِيبةَ مِنَ الكبائر؛ لأنَّ الله شَبَّهَهَا بأكلِ لَحْمِ المَيِّتِ، وذلك مِنَ الكبائر.

عباد الله: لقد أصاب الناسَ فزعٌ شديدٌ مما يسمى بفيروسات كُورُونا، ذاك الداءُ الذي انتشر في بلدٍ جيشُها يُعدُّ ثالثَ جيوش العالَمِ قوةً، وأكثرَ بلادِ العالمِ عددًا، حيث بلغ عددُ سكانِها قرابةَ المليارِ ونصفَ المليار، وهذا البلدُ مِنْ أكثرِ بلادِ العالَمِ تطورا في الاقتصاد، حيث ترتيبها الثالثُ في العالَمِ، ومع كل ذلك ما استطاعوا دَفْعَ هذه الكائناتِ الدقيقةِ جدًّا، والتي تُكبَّر ربعَ مليون مرةً لتُرى. لقد قال الرئيس الصيني قبل حلولِ هذا الداءِ الفتاكِ إلى بلادِه بشهر تقريبًا: «**لا يمكن لأي قوة في العالم أنْ تُقوِّض أسسَ الأمةِ الصينيةِ**»، فهلِ استطاعَ دفعَه؟!

لقدِ اجتهدَ الصينيون في مكافحةِ هذا الداءِ اجتهادًا عظيمًا، حتى إنهم بنوا مستشفى في ستةِ أيامٍ، لكنْ أَنَّى لهم مواجهةُ جندٍ مِن جنودِ الله، ﴿وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَما هِيَ إِلاَّ ذِكْرى لِلْبَشَرِ﴾.

إنَّ الخسائرَ في الصين وصلتْ إلى اثنين وستين مليارًا مِنَ الدولارات، وخَصصتِ الحكوماتُ المركزيةُ والإقليميةُ أكثرَ مِنْ اثنيْ عَشَرَ مليارًا مِنَ الدولاراتِ للإنفاقِ على العلاجاتِ والمعداتِ الطبيةِ. ولكنْ كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾. قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾. أي: عذابًا وشدةً وأمرًا يكرهونه، فإنَّ إرادتَه لابد أنْ تنفذَ فيهم. فَإنَّه لا مَرَدَّ لَهُ، ولا أحدٌ يمنعهم منه، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾. يتولى أمورهم، فيجلبُ لهم المحبوبَ، ويدفعُ

عنهمُ المكروهَ، فلْيحذروا مِنَ الإقامة على ما يكرهُ اللهُ خشيةَ أنْ يَحِلَّ بهم مِنَ العقابِ ما لا يُرَدُّ عَنِ القومِ المجرمين.

ونُنبه أيها الأخوة على أنَّه لا يجوز الفزع والخوفُ مِن هذا الداء؛ لأنَّ الأمورَ تمشي بتقدير الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. قال الحافظُ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾. أَيْ: وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللهِ، هَدَى اللهُ قَلْبَهُ، وعوَّضه عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدى فِي قَلْبِهِ، وَيَقِينًا صَادِقًا، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَخَذَ مِنْهُ، أَوْ خَيْرًا مِنْهُ.

أخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». فاتقوا الله عبادَ اللهِ وتوكلوا عليه، ومِنَ التوكلِ عليه الأخذُ بالأسبابِ المشروعةِ والمباحةِ للوقايةِ مِنَ الأمراضِ قبل وقوعها والأخذ بأسباب الشفاء والعافية بعد الإصابة بها. ومِن الأسباب الشرعية المحافظةُ على أذكار الصباح والمساء والذكرِ عند النزول في مكانٍ ما، والأذكارِ المشروعة عند النوم. وتناولُ الأطعمة والأشربة التي رَغَّبَ فيها النبيُّ ﷺ وأخبر أن فيها الشفاءَ مِنَ الأدواءِ والأمراضِ، والوقايةِ من السموم وغيرِ ذلك مِنَ الفوائد.

ومن الأسباب الطبيّة: المحافظةُ على النظافة، وتناولُ الأدوية المباحة، والكشفُ المبكرُ عند الاشتباه. إلى غير ذلك مما تعلن عنه الجهات المختصة. ومِنَ الأخذِ بالأسباب السلامةُ والوقايةُ الشرعيةُ والطبيةُ، فمِنْ ذلك اجتنابُ السفر إلى بلدِ الوباء وكذلك اجتنابُ المغادرةِ منه؛ لِما أخرجه الشيخان عَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ سُلِّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا»، وما أخرجه مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ».